البروفيسورة
بسمة بنت أحمد جستنية

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الأديان والعقيدة بجامعة طيبة
سفير وزمالة دولية من مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات kaiciid

# تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح عليه السلام

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
KSA - Al-Madina Al-Monawara

## المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، الذي بشر به رسول بني إسرائيل، عيسى بن مريم عليهما السلام، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فأرسل الله عيسى ين مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة، وداعيا إلى عبادة الله وحده، فالنبي عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء قبل نبينا محمّد ﷺ.

وأخبر الله تعالى في القرآن عن حاله قبل أن يولد في آيات بينات، قال تعالى في سورة آل عمران:﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

خلق الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام بكلمة منه، فحملت به أمه دون أب، لحِكمةٍ أرادها الله تعالى. وتكلم في المهد، مبرئا نفسه ووالدته من دعاوى اليهود والنصارى، فبرأ نفسه من أن يكون إلها أو ابن إله، كما ادعى النصارى، وإنما هو عبد لله.

وبرأ نفسه مما ادعاه اليهود فيه أنه ساحر كذاب، فبين أنه نبي من أنبياء الله. وبرأ أمه من أن تكون بغيا، كما لمزها بذلك اليهود.

فبين أنه خلق فيها من دون أب، والله تعالى لا يعجزه شيء، فقال مؤكدا ذلك: ﴿وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا﴾ [مريم: ٣٢]، فذكر والدته ولم يذكر له أبا، بخلاف ما حكاه الله تعالى عن يحي بن زكريا عليهما السلام، حين قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤].



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

كما أن سياق كلامه كله، وتكلم أساسا بمعجزة لتبرئة أمه من دعوى اليهود. قال تعالى في سورة مريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

وأجرى الله على يديه آيات بينات، وأنزل الله عليه كتابا هو الإنجيل، وآمن به الحواريون، وكفر به اليهود حسدا وعنادا.

قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ۝ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [ المائدة ١١٠-١١١]

صبر عيسى ابن مريم عليه السلام على أذى اليهود، وحقق عبوديته لله، وفي كل مرة كان يذكرهم بموقفه من موسى عليه السلام، وأنه مصدق بالتوراة، ويعظهم ويذكرهم بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠]

وكان اليهود يتربصون به، وتآمروا على قتله، وأوحى الله إليه أنه سيرفعه إليه. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥] .

وشبه لهم وللنصارى، وظن اليهود أنهم قتلوه، وصدق ذلك النصارى، ونفى الله ذلك كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

فعيسى عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل، وإنّما رفعه الله إلى السّماء. وسينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فيكسر الصليب، ويقتل الدجّال، كما ورد في الأحاديث النبويّة، حيث قال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيدِه، ليُوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حكماً مقسطاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبلَه أحدٌ".[1]

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام، رسول لبني إسرائيل، من أولى العزم من الرسل، حقق العبودية الكاملة الحقة لله تعالى، كمن سبقه من الرسل والأنبياء جميعا عليهم السلام. فهذا ما قرره القرآن الكريم، كما سيأتي تفصيله.

وهذا البحث فيه رد على دعاوى النصارى في أن القرآن الكريم قرر لاهوت المسيح وناسوته، واستدلالاتهم الخاطئة المبنية على خلط وجهل بالمعاني، مثل معنى الكلمة والروح الواردة في خلق عيسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ حيث زعم يوحنا الدمشقي[2] في الحوار المفترض بين مسلم ونصراني، أن يقول النصراني للمسلم: ماذا يدعى المسيح في كتابكم؟....فيقول: في كتابي يدعى المسيح روح الله وكلمته. عندئذ قل له من جديد: روح الله والكلمة بحسب كتابك هل هما غير مخلوقين أم مخلوقان؟ فإذا قال لك إنهما غير مخلوقين، قل له: ها إنك توافقني في الرأي، لأن من لم يخلقه أحد، بل من يخلق كل الأشياء إنما هو الله. أما إذا تجرأ على القول بدون تحفظ إنهما مخلوقان، فقل له: من خلق إذا روح الله وكلمته؟ فإذا ما ارتبك وقال: إن الله هو الذي خلقهما، ... فقل له: "قبل أن يخلق الروح والكلمة هل كان الله بدون روح وبدون كلمة، فعندها يهرب منك، إذ ما من شيء عنده ليجيبك به.[3]

وهذه الشبهة ألقاها نصارى نجران بين يدي النبي ﷺ، فقالوا: " ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: بلى. قالوا: فحسبنا. فأنزل الله عز وجل: ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [آل عمران:٧][4]

---

١ رواه البخاري، صحيح البخاري، عن أبي هريرة، رقم٢٢٢٢.

٢ يوحنا الدمشقي وكما يسمونه: القديس، كان كاتباً عند معاوية، ألَّف في اللاهوت، والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر: المنجد في الأعلام ص: ٥٦٤. وتذكر الموسوعة العربية الميسَّرة (ص: ١٩٨٩) أن من أشهر مؤلفاته: ينبوع الحكمة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: تفسير لاهوتي لمقولات أرسطو، وتاريخ البدع، وعرض للعقيدة المسيحية، كما يذكر نجيب العقيقي في "المستشرقون" (١: ٧٢) أنه "خيرُ معبر لنقل الأفكار اليونانية والرومانية للمسلمين".

٣ انظر كتاب الهرطقات المئة ليوحنا الدمشقي ص٧٠-٧١. وقد ذكر هذه الدعوى لهم الجاحظ في كتابه المختار في الرد على النصارى، ص٨٧، كما ذكرها أبو عبدالله القرطبي في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، ص١٣٣، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح نحن عنوان: نقض دعواهم أن القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت. وانظر أيضا كتاب إظهار الحق ٨٨/١.

٤ رواه الطبري في تفسيره ١٧٧/٣.

ولهذا كان الدافع لكتابة هذا البحث بيان تقرير القرآن الكريم في دحض هذه الدعاوى، والتأكيد على أن عيسى عبد لله تعالى ورسوله، وأنه بشر من البشر، حقق العبودية الكاملة لله عز وجل، ورفعه الله إليه، وسينزل آخر الزمان، وسيجري عليه ما يجري على البشر عموماً من الموت والبعث، بما يدحض دعاوى النصارى بألوهية المسيح عليه السلام.

وقد جعلت عنوانه: تقريرات القرآن الكريم لعبودية المسيح عليه السلام.

وذلك أن تقرير العبودية من أعظم العقائد، فهي غاية وجود الإنسان، وأساس دعوة الرسل عليهم السلام؛ ويتبين منه أن المسيح عليه السلام عبد من عبيد الله الكمل، وليس إلها ولا ابن إله.

وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

تمهيد: في بيان معنى العبودية والتعريف بالمسيح عليه السلام من خلال القرآن الكريم.

المبحث الأول: إثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروحه.

المبحث الثاني: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار التصريح بعبوديته لله تعالى.

المبحث الثالث: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار البشرية.

المبحث الرابع: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية.

المبحث الخامس: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار قبضه ورفعه إلى السماء.

المبحث السادس: عبودية المسيح عليه السلام باعتبار نزوله وموته.

وخاتمة في نتائج البحث.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله علماً نافعاً وعملاً خالصاً متقبلاً.

## تمهيـــــد

### مفهوم العبودية:

هي أعلى مقامات الدين، وغاية خلق الإنسان، قال تعالى في خطاب موجه للناس عموما: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٢١]، وقال:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [ الذاريات: ٥٦]

**والعبودية في اللغة:** مصدر عبد يعبد عبادةً ومعبداً ومعبدةً، فهو عبدٌ، أي: ذلّ وخضع. قال ابن منظور: "أصل العبودية الخضوع والتذلل... وعبد الله تألّه له... والتعبّد: التنسك، والعبادة: الطاعة"[١]

فترتبط حقيقة العبودية بعبودية القلب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده، ولهذا يقال: العبد حرّ ما قنع، والحر عبد ما طمع".

العبودية اصطلاحًا: العبودية تعني الاستجابة لجميع الأوامر والخضوع لله والذلة له مع المحبة

يقول شارح الطحاوية "فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته"[٢]

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[٣]

فجميع ما أحبه الله فيما أخبر به في كتابه، وأخبر به نبيه ﷺ من أعمال الجوارح والقلوب هو من العبادة.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه "بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

---

١ لسان العرب (٥/٢٧٧٦)، مادة (ع ب د)

٢ شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٤٦)

٣ رسالة العبودية لابن تيمية، ص١٩، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، الإسماعيلية، دار الأصالة، ط٢، ١٤١٩هـ.

قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" [١]

فالحديث اشتمل على أصول العبودية لله تعالى في الإسلام، فذكر الإسلام والإيمان والإحسان.

وانطلاقا من الآيات والأحاديث النبوية، قسم العلماء العبودية إلى قسمين: عبودية عامة وعبودية خاصة.[٢]

**فالعبودية العامة:** هي عبودية القهر والتسخير والملك والتسيير، وهذه تعمّ جميع الخلق مكلّفهم وغير مكلفهم، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

**والعبودية الخاصة:** هي عبودية التأله والطاعة والمحبة وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، الذين استجابوا لداعي الله. قال ابن تيمية رحمه الله: "إن العبد يراد به المعبّد الذي عبّده الله فذلّله ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله، الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالى-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:٨٣].

ومثل هذه العبودية لا تفرّق بين أهل الجنة وأهل النار، ولا يصير بها الرجل مؤمناً... والمعنى الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد، فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه، وهذه العبادة متعلقة بألوهيته، ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله)، بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إلهاً آخر.

وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله. وأما العبد بمعنى المعبَد سواء أقر بذلك أو أنكره فهذا المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر"[٣]

---

١ صحيح مسلم رقم ٨ القاهرة، دار السلام، ١٤١٦هـ.

٢ انظر في ذلك شرح رسالة العبودية ص٢٣ وما بعدها

٣ رسالة العبودية ص٢٨، وانظر في نفس المعنى: مدارج السالكين لابن القيم ١/١٠٠

فعبادة الله تعالى هي غاية وجود الخلق، والغاية من إرسال الرسل عليهم السلام جميعا. قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

فعلى مر الأزمان كانت الرسل تبعث إلى أقوامهم، يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى، وينهون عن الشرك وعبادة غيره.

ولما حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح عليه السلام، أرسل الله لهم رسوله نوحا، فكان أول رسول، ولم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥] .

فعبادة الله تعالى، والمداومة عليها وملازمتها كانت خاتمة الوصايا للنبي ﷺ، إلى أن توفاه الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ هذه الآية الكريمة جاءت في آخر سورة الحجر، خاتمة لمجموعة وصايا، أوصى بها الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام. واليقين هو الموت كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ.[١]

ومن أولئك الرسل كانت خاتمة رسل بني إسرائيل، عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي بعثه الله تعالى، داعيا إلى عبادة الله تعالى، وناهيا عن عبادة غيره، وهو من أولي العزم من الرسل الذين حققوا العبودية الكاملة لله تعالى.

**التعريف بالمسيح عليه السلام حسب القرآن الكريم إجمالاً.**

**المسيح:** هو عيسى ابن مريم بنت عمران من بني إسرائيل، خلقه الله في بطن أمه بدون أب. وهو آخر أنبياء بني إسرائيل وهو أحد أولي العزم من الرسل، جعله الله لبني إسرائيل آية.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يأمركم إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ *وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا

١ انظر: صحيح البخاري. كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا ادرج في أكفانه عن أم العلاء رضي الله عنها. رقم ١١٨٦.

قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:٤٤-٥١]

**فهذه الآيات فيها ملخص كامل عن تلك الشخصية الكريمة نبي الله عيسى عليه السلام ومما فيها:**

- إثبات نسبه وأنه عيسى ابن مريم
- وأنه مخلوق بكلمة الله خلقا خاصا ليس كبقية البشر من ذكر وأنثى وإنما هو مخلوق خلقا مباشرا في بطن مريم الصديقة بلا أب.
- وأن الله تعالى علمه التوراة وآتاه الإنجيل وأنه نبي مكرم ورسول لبني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
- وأن الله أيده بالمعجزات الخارقات تأكيدا لنبوته وحجة على كل مكذب له مفتري وأنه فوق ذلك عبد مربوب ليس ربا ولا معبود.
- ومن قصته التي حكاها الله تعالى في مواطن أخرى أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به وطائفة آمنت به وعلى رأسهم الحواريين.
- وأن من كفر به من بني إسرائيل سعوا الى قتله وصلبه وزعموا ذلك وصدقهم ضلال النصارى مع أن الحق أن الله تعالى نجاه منهم ورفعه إليه وبينت السنة كما سيأتي أنه سينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدعوا إلى ملة الإسلام ويقتل المسيح الدجال ثم يموت كغيره من البشر ويدفن في الأرض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق... منها: أنه بين مراده، وأنه مخلوق حيث قال: ﴿كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ وقال: ﴿اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ أخبر أنه ابن مريم، وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين؛ وهذه كلها صفة مخلوق. وقالت مريم: ﴿أنى يكون لى ولد﴾ فبين أن المسيح، الذي هو الكلمة، هو ولد مريم، لا ولد الله سبحانه وتعالى.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [النساء:١٧١]، فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم، وأن يقولوا على الله غير الحق، وبين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسله، فبين أنه رسوله، ونهاهم أن يقولوا ثلاثة، وقال ﴿انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد﴾؛ وهذا تكذيب لقولهم في المسيح: إنه إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه.

ثم قال: ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ فنزه نفسه وعظمها أن يكون له ولد كما تقوله النصارى ثم قال: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ فأخبر أن ذلك ملك له، ليس فيه شيء من ذاته.

وإنما خُصَّ عيسى عليه السلام باسم الكلمة؛ لأنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره، بل خرج عن العادة، فخلق بأمر الله التكويني له: (كن)، وهذا هو الكلمة المذكورة، ولم يخلق من لقاح الذكر للأنثى، كما هي سنة الله المعروفة في خلق البشر.

وتكلم عليه السلام في المهد مبرءا أمه حين أتهمها قومها بولد دون زوج قال تعالى في سورة مريم:﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

وأجرى الله على يديه المعجزات العديدة، ومنها: أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبر بني إسرائيل بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

إلا أن بني إسرائيل اختلفوا فيه، فآمن به طائفة منهم، وكفرت طائفة، فلم يقبلوا نبوته ولا رسالته، بل كفروا به، وأرادوا قتله فأنجاه الله منهم، ورفعه إليه، وجعله الله علامة لقرب الساعة وثبت في السنة نزوله آخر الزمان وقت خروج الدجال، فيقتله المسيح عليه السلام، ثم يموت المسيح عليه السلام، ويدفن في الأرض، وتكون الساعة قد أزفت، فيكون نزوله عليه السلام علامة على قرب قيام الساعة.

وبين الله تعالى أن النصارى قد ضلوا ضلالا كبيرا في المسيح عليه السلام، فادعوا أنه إله وابن إله، وأنه ثالث ثلاثة، وكفرهم الله تعالى بذلك. قال تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة ٧٢-٧٣]

وقال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف ٤-٥].﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [ التوبة ٣٠-٣١]

فالنصارى بناء على ذلك ضلوا ضلالا بعيدا في المسيح عليه السلام، فأخرجوه عن كونه عبدا مربوباً، وادعوا فيه أنه إله وابن إله معبودا من دون الله تعالى.

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم كما سيأتي بيانه، من الدلائل والبراهين ما يؤكد أنه رسول بشر عبد لله تعالى، ليس إلها ولا ابن إله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

هذه أهم المعلومات المتعلقة بالمسيح عليه الصلاة والسلام مما ورد في القرآن الكريم والسنة إجمالاً.



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

## المبحث الأول

## إثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروح منه[1]

إن عبودية المسيح لله تعالى وبشريته تتناقض تماما مع دعاوى النصارى فيه، من أنه إله وابن إله وثالث ثلاثة، إلى آخر دعاويهم فيه. ومن جود الله تعالى وكرمه أنه ذكر من الحجج في كتابه ما فيه أوضح حجة وبرهان على عبودية المسيح لله تعالى، بما يدحض دعاوى النصارى فيه.

وإن من أظهر الأدلة التي جعلها الله تعالى ردا عليهم، وإبطالا لمذاهبهم، وإثباتا لعبودية المسيح قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[النساء ١٧١]

فهذا نص صريح وتأكيد واضح وفصيح في إبطال غلو النصارى في المسيح **وذلك في أربعة براهين على عبودية المسيح متتالية:**

١. أنه نسبه إلى مريم، فقال ﴿عيسى ابن مريم﴾، وسيأتي بيانه في المبحث الثالث.
٢. أنه رسول الله، فقال ﴿رسول الله﴾، والرسالة من كمال العبودية. وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في المبحث الرابع.
٣. أنه كلمة الله.
٤. أنه روح من الله تعالى.

فهذه البراهين الأربعة من أقوى الدلائل على عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى. فقول الله تعالى في هذه الآية أن المسيح كلمة الله، إنما يعني كلمة الله التي هي (كن) التكوينية، التي بها تتكون المخلوقات، ولم يكن هو الكلمة، كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠]، ويؤكد هذا أن الله تبارك وتعالى رد

---

١ جعلت هذا المبحث أول المباحث، حيث عماد دعوى النصارى في ألوهية المسيح ومناظراتهم مع المسلمين أن القرآن الكريم قرر ألوهية المسيح بوصفه أنه كلمة الله وروح منه.



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

بها على النصارى، الذين ادعوا أن المسيح ولد الله بقوله:﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم ٣٤-٣٥]

وقد أكد أهل العلم ذلك في بيان معنى قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾، فقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة قال: "هو قوله (كن) فكان.[١]

وقال ابن كثير رحمه الله في الآية عن المسيح: "إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له (كن) فكان، ورسول من رسله، و﴿كلمته ألقاها إلى مريم﴾: أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم".[٢]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾، "أي كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم".[٣]

يعني حين يقال: "عيسى كلمة الله"، فإضافة الكلمة إلى الله من باب التشريف، كما يقال ناقة الله، وبيت الله.

وقال محمد رشيد رضا:"﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾:وهو تحقيق كلمته التي ألقاها إلى أمه مريم ومصداقها، والمراد: كلمة التكوين أو البشارة، فإنه لما أرسل إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، بشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاما زكيا، فاستنكرت أن يكون لها ولد وهي عذراء لم تتزوج، فقال لها: ﴿كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾، فكلمة (كن ) هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض قدرة الله تعالى عند إرادته خلق الشيء وإيجاده، وقد خلق المسيح بهذه الكلمة، والإلقاء يستعمل في المعاني والكلام كما يستعمل في المتاع، قال تعالى: ﴿فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ ، ومعناه الطرح والنبذ، فلما عبر الله عن التكوين أو البشارة بالكلمة حسن التعبير بقوله: وكلمته ألقاها إلى مريم أي أوصلها إليها وبلغها إياها. [٤]

وفي مسند أحمد رحمه الله عن أم سلمة رضي الله عنها لما نزلوا الحبشة، وأرسلت قريش تطلبهم، فقالوا للنجاشي اسألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم، فقال:" مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي

---

١ تفسير الطبري ٤١٩/٩

٢ تفسير ابن كثير ٤٧٧/٢.

٣ تفسير ابن سعدي ص٢١٦.

٤ تفسير المنار ٦٧/٦

طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ".[1]

فهذه كلها تقريرات مؤكدة أن عيسى عليه السلام إنما هو عبد مخلوق، خلقه الله تعالى بقدرته وعظمته تعالى، حيث لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض الرد على مغالطات النصارى وتأويلاتهم: وكون عيسى عليه السلام كلمة من الله، وروحا منه، كما تدل عليه نصوص الوحي المبين، لا يوجب أن يكون جزءا من الله تعالى، قد خرج منه، وانفصل عن ذاته، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، بل المراد بذلك أنه من عنده سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [ الجاثية ١٣] وقوله تعالى:﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [ النحل ٥٣]

وقوله عن المسيح: وروح منه خص المسيح بذلك، لأنه نفخ في أمه من الروح؛ فحبلت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأنها حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمي روحا منه.[2]

وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الكريم أنه ليس للمسيح سبب بشري قريب من جهة أبيه ينسب إليه كما الناس، لذا نسب إلى سببه القريب، وهو تخليقه بكلمة الله، التي تخلق وفق أمرها.

وأما قوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ فالمراد بالروح منه جبريل عليه السلام، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ [البقرة: ٨٧]. والمسيح إنما خلق بنفحة منه ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١]

وهذا المعنى هو ما ورد في حق آدم أيضاً ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ الحجر: ٢٩، فهي إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنىً خارجاً عن الإنسانية لكان آدم أولى بذلك. وهذا معهود في لغة العرب كقول القائل: (خذ طرفك) يريد طرف الخشبة أو الحذاء، فجعله طرفاً للحامل، وكذلك فينسب كل روح لله، لأنه جل وعلا سببها وخالقها.[3]

---

١ مسند أحمد ٢٦٧/٣

٢ انظر: دقائق التفسير: ٣٢٤/١ وما بعدها.

٣ انظر في ذلك كلام منقذ محمود السقارفي كتابه الله جل جلاله واحد أم ثلاثة تحت عنوان (استدلال النصارى بآيات من القرآن على ألوهية المسيح)، ص١٤٧-١٤٨، ط١، دار الإسلام للنشر والتوزيع.



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

## المبحث الثاني

## عبودية المسيح عليه السلام باعتبار التصريح بعبوديته لله تعالى.

لقد قطع المسيح عليه السلام الأمر في عبوديته بالتصريح بذلك بأوضح عبارة، وليس هناك أبلغ من شهادة المرء على نفسه فقد شهد بذلك في مواطن في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]

فصرح عليه السلام في هذه الآية فيما أخبر الله عنه أنه عبد لله، كما أن الله رب الناس فإن الله ربه أيضا، وهذه شهادته يوم القيامة أمام الله عز وجل يتبرأ بها مما ادعاه فيه النصارى من الألوهية والبنوة لله ﷻ . قال السعدي رحمه الله في الآية " ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي."[١]

ومن النصوص في ذلك قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠، ٣١]

فصرح هنا بعبوديته لله ﷻ أول ما تكلم يقول ابن كثير رحمه الله:" أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه".[٢]

كما أخبر الله ﷻ أن عيسى عبد من عبيد الله، وما كان لعيسى عليه السلام ولا لأحد من البشر أن يستنكف عن هذا المقام الرفيع. قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن العبودية: وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]. وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبّهم ونحو ذلك، كما ذكر طائفة من المفسرين أن وفد نجران

---

١ تفسير السعدي (ص: ٢٤٩)

٢ تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٨)

قالوا: يا محمد؛ إنك تعيب صاحبنا وتقول إنه عبد فقال النبي عليه السلام: ليس بعيب لعيسى أن يكون عبد الله، فنزل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]

أي لم يأنف المسيح من ذلك، ولم يتعظم من جعله عبدا لله. فعند النصارى الغلاة أنه سبّه وعابه. ولهذا لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب: ما تقول في المسيح عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، رفع النجاشي عودا، وقال: ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود، فنخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم. فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبا له"[١]

وقال الشيخ محمد رشيد رضا:" لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله، الاستنكاف: الامتناع عن الشيء أنفة وانقباضا منه، قيل: أصله من نكف الدمع: إذا نحاه عن خده بأصبعه حتى لا يظهر، ونكف منه: أنف، وأنكفه عنه: برأه، والمعنى: لن يأنف المسيح، ولا يتبرأ من أن يكون عبدا لله، ولا هو بالذي يترفع عن ذلك ; لأنه من أعلم خلق الله بعظمة الله وما يجب له على العقلاء من خلقه من العبودية والشكر، وأن هذه العبودية هي أفضل ما يتفاضلون به ولا الملائكة المقربون يستنكفون عن أن يكونوا عبيدا لله أو عن عبادته، أو لا يستنكف أحد منهم أن يكون عبدا لله"[٢]

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]

فصرح الله ﷻ بأن المسيح عبد له أنعم الله عليه بالرسالة فليس هو إلها ولا ابن إله يقول ابن عاشور رحمه الله:" "لما ذكر ما يشير إلى قصة جدال ابن الزبعرى في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وكان سبب جداله هو أن عيسى قد عبد من دون الله لم يترك الكلام ينقضي دون أن يردف بتقرير عبودية عيسى لهذه المناسبة، إظهارا لخطل رأي الذين ادعوا إلهيته وعبدوه وهم النصارى حرصا على الاستدلال للحق.

وقد قصر عيسى على العبودية على طريقة قصر القلب للرد على الذين زعموه إلها، أي ما هو إلا عبد لا إله لأن الإلهية تنافي العبودية. ثم كان قوله: أنعمنا عليه إشارة إلى أنه قد فضل بنعمة الرسالة، أي فليست له خصوصية مزية على بقية الرسل، وليس تكوينه بدون أب إلا إرهاصا"[٣].

---

١ الرد على الإخنائي (ص: ٢٢٣)
٢ تفسير المنار (٦/ ٧٩)
٣ التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٤٠)

## المبحث الثالث

## عبودية المسيح عليه السلام باعتبار البشرية

المسيح عليه السلام عبد لله تعالى، فهو بشر كغيره من البشر، من نسل آدم عليه السلام، كسائر ذريته الذين سبقوه ولحقوه. ولم يختلف عنهم بشيء يجعله إلها أو ابن إله، أو ما يرفعه فوق مراتب البشر.

والأدلة على هذا من القرآن الكريم ظاهرة واضحة، ومنها:

١. أن الله عز وجل ذكر نسبه وأصوله البشرية التي يعود إليها من لدن آدم عليه السلام، كغيره من البشر، قال تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . [آل عمران: ٣٥-٣٧]

فهذه الآية الكريمة حكمت في القضية، وأبانت تفصيلا عن السلسلة المباركة التي تناسل منها هذا النبي الكريم. فأولهم آدم أبو البشر، والمسيح عليه السلام من ذريته. وثانيهم أبو البشر الثاني نوح عليه السلام، وثالثهم إبراهيم عليه السلام، أبو الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، ورابعهم عمران الذي هو جد المسيح عليه السلام لأمه، وهو من نسل إبراهيم، وهو من صالحي بني إسرائيل، وخامسهم جدته لأمه امرأة عمران، وصلاحها ظاهر بين، من طلبها أن يكون ما في بطنها محررا للخدمة في بيت المقدس، حيث ضحت بقرب ابنتها منها، لتكون في خدمة بيت الله تعالى. سادسهم أمه مريم رضي الله عنها، والتي هي محررة لخدمة البيت، وهي من أصلح بنات آدم، حيث وصفها الله تعالى بأنها صديقة في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ودرجة الصديقية هي أرفع الدرجات في الكمال البشري من غير الأنبياء عليهم السلام. دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]. فذكر الصديقين بعد الأنبياء وقدمهم على الشهداء والصالحين.

ومما يؤكد تقدمها على بنات جنسها في الصلاح والخيرية، حديث علي بن أبي طالب ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: "خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد"[1].

هذه السلسلة المباركة من الآباء الصالحين هم بشر، فيكون نسلهم بشر، ولن يكون من غير البشر بحال من الأحوال، لأن البشر لا يمكن أن يكون نسلهم إلا بشرا.

وإن من المعلوم في خلق الله عز وجل أنه لا يمكن أن يتناسل جنس إلا من جنسه فقط، فلا يتناسل الحصان من الفيل ولا البقر من الغنم ونحو ذلك، فادعاء أن المسيح عليه السلام ليس من البشر أو أنه جنس إلهي أبعد في النجعة، وأكثر في الاستحالة من ادعاء أنه من نسل خلق مختلف الجنس.

٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧، ٨] هذه الآية صريحة في أن جميع من أرسل الله عز وجل من الرسل كانوا رجالا وهذا الوصف لا يطلق إلا على البشر قال ابن كثير رحمه الله في بيان معنى الآية: "أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة"[2]

والمسيح عليه السلام واحد من أولئك الرسل الذين كانوا رجالا، وفي نفس معنى الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٥]

قال ابن عاشور رحمه الله: ((بعد أن عدت أشكال عنادهم ومظاهر تكذيبهم أعقبت ببيان العلة الأصلية التي تبعث على الجحود في جميع الأمم، وهي توهمهم استحالة أن يبعث الله للناس برسالة بشرا مثلهم. فذلك التوهم هو مثار ما يأتونه من المعاذير، فالذين هذا أصل معتقدهم لا يرجى منهم أن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وما قصدهم من مختلف المقترحات إلا إرضاء أوهامهم بالتنصل من الدخول في الدين، فلو أتاهم الرسول بما سألوه لانتقلوا فقالوا: إن ذلك

---

١ صحيح البخاري (٥/ ٣٨)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦)

٢ تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٤)

سحر، أو قلوبنا غلف، أو نحو ذلك....وإذ شمل العموم كفار قريش أمر الرسول بأن يجيبهم عن هذه الشبهة بقوله: ﴿لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾، فاختص الله رسوله محمدا ﷺ باجتثاث هذه الشبهة من أصلها اختصاصا لم يلقنه من سبق من الرسل، فإنهم تلقوا تلك الشبهة باستنصار الله تعالى على أقوامهم فقال عن نوح ﴿قال رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١١٨].

ومعنى قوله:(( لو كان في الأرض ملائكة يمشون)) إلخ: أن الله يرسل الرسول للقوم من نوعهم للتمكين من المخالطة لأن اتحاد النوع هو قوام تيسير المعاشرة، قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ [الأنعام: ٩]، أي في صورة رجل ليمكن التخاطب بينه وبين الناس". [١]

هذه الآية كسابقتها في الدلالة على بشرية المسيح عليه السلام، وأن هذه إشكالية الكافرين مع رسلهم، وهي إنكار رسالتهم لأنهم بشر، فرد الله عز وجل عليهم بإثبات بشرية عموم الرسل من قبل، وأن الملائكة وهم الصنف المقترح إرساله من قبل الكفار لا يمكن أن يأتوا رسلا للبشر لاختلاف الجنس، ولو أنه كان ممكنا وجود الملائكة في الأرض لأرسل الله عز وجل لهم ملكاً من جنسهم ليمكنهم التفاهم معه وقبول رسالته.

٤. قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]

نصت الآية على دليل وبرهان واضح على بشرية المسيح، وهو أن من مقتضيات البشرية أكل الطعام ولوازم الأكل والشرب هو قضاء الحاجة، بل وحاجة الإنسان للطعام وافتقاره إليه لتقوم به حياته، ولا يمكن أن يكون ذلك المحتاج إلها ورباً.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في الآية:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره، احتجاجا لنبيه محمد ﷺ على فرق النصارى في قولهم في المسيح عليه السلام يقول مكذبا لليعقوبية[٢] في قيلهم: "هو الله" والآخرين في قيلهم: "هو ابن الله": ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر لا من صفة

---

١ التحرير والتنوير (١٥/ ٢١١)

٢ اليعقوبية هم أتباع يعقوب البرادعي، قالوا بأن المسيح ذو طبيعة واحدة، امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، ونسب المذهب إلى يعقوب البرادعي لأنه من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس عشر.

وبسبب ذلك الإعلان انعقد مجمع خليدونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي. انظر: الملل والنحل ص١٨٢، والفصل في الملل ٤٨/١

خالق البشر، وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر، حجة له على صدقه، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه، كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات والعبر، حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل..

وقوله: "كانا يأكلان الطعام"، خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك، فغير كائن إلها، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليل واضح على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا" [1]

٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]

بين ربنا تبارك وتعالى بأن المسيح من نسل بشري فإن أباه الأعلى آدم وآدم مخلوق من تراب، وهو أب للبشر كلهم، لم يخرج عن هذه الأبوة أحد لا المسيح ولا غيره، فالمسيح بشر كما أن أباه بشر، وهذه من حجج الله ﷻ على المغالين فيه، ومن اعتقدوا فيه الإلهية والبنوة لله تعالى الله عن قولهم.

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد، استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق، الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام".[2]

---

١ تفسير الطبري (١٠/ ٤٨٤)

٢ تفسير السعدي (ص: ١٣٣)

## المبحث الرابع

## عبودية المسيح عليه السلام باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية

يصطفي الله ﷻ لرسالته من يشاء من عباده، فمن أرسله من عباده إنما أرسله لخصوصية قامت في المرسَل أو بعبارة أخرى هو عبد مصطفي كما قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]

وكما قال تعالى عن مجموعة من صفوة البشر من الرسل: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧]

فمن كان رسولاً من البشر، فقد حقق العبودية الكاملة لله تعالى، فكل رسول من البشر هو عبد لله قد حاز كمال العبودية، والمسيح عليه السلام من هؤلاء الرسل، الذين حازوا كمال العبودية لله تعالى. وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أنه عبد رسول منها، قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣].

ففي هذه الآيات قدم العبودية لأن العبودية هي الغاية من الخلق وقدم العبودية على النبوة لأن العبودية حق الله تبارك وتعالى والنبوة لمصلحة البشر فقدم حق الله على حق البشر. كما وأن تصريحه بالعبودية تنفي عنه دعوى النصارى ألوهيته وبنوته لله ﷻ.

قال مقاتل في الآية: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلها، آتاني الكتاب وجعلني نبيا، "[١]

وقال القرطبي:" ﴿قال إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، رداً على من غلا من بعده في شأنه"[٢].

---

١ تفسير البغوي (٣/ ٢٣٢)

٢ تفسير القرطبي (١١/ ١٠٢)

وقال السعدي رحمه الله:" قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ومدعون موافقته. ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: قضى أن يؤتيني الكتب ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه"[1]

وقال ابن عاشور: "الابتداء بوصف العبودية لله ألقاه الله على لسان عيسى لأن الله علم بأن قوما سيقولون: أنه ابن الله"[2].

كما أن المسيح عليه السلام أكد العبودية بالتزام لوازمها بتأكيده على إقامة الصلاة وهي اعظم الحقوق البدنية لله عز وجل وإيتاء الزكاة وهي اعظم الحقوق المالية لله عز وجل على العباد، وبر الوالدة

وهي أعظم حق للبشر على البشر فإن الوالدة حقها بعد حق الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

فالآيات صريحة في عبودية المسيح لله عز وجل وأنه كان عبدا مربوبا وليس إلها معبودا كما يزعم النصارى.

١ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٢)

٢ التحرير والتنوير (١٦/ ٩٨) ولا حظ ابن عاشور رحمه الله ملاحظة مهمة هنا وذلك قوله " كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طي يتعجب منه. ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم."

## المبحث الخامس

## عبودية المسيح عليه السلام باعتبار قبضه ورفعه الى السماء

إن مما يؤكد عبودية المسيح عليه السلام أن الله تعالى قد قبضه إليه قبضا خاصا بجسده وروحه وذلك ينفي عنه الألوهية وتثبت له العبودية لله ﷻ وذلك أن المتصرف فيه كيف يشاء هو الله ﷻ ومن الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥ - ٥٧]

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]

فهذه آيات صريحة في أن الله ﷻ قد نجى نبيه من أعدائه اليهود الذين أرادوا قتله فرفعه اليه، وفيها من الدلالة على عبودية المسيح عليه السلام واصطفائه وحماية الله ﷻ له من أعدائه حماية خاصة تدل على عبودية خاصة ومكانة عند الله ﷻ مميزة عن غيره من البشر لكنها لا تخرجه عن الصفة البشرية ولا عن مقام العبودية وفي هذا جاء كلام أهل العلم.

ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد سئل عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أحدهما: إن عيسى ابن مريم توفاه الله ثم رفعه إليه؛ وقال الآخر: بل رفعه إليه حيا. فما الصواب في ذلك. وهل رفعه بجسده أو روحه أم لا؟ وما الدليل على هذا وهذا؟ وما تفسير قوله تعالى ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾؟ فأجاب:

الحمد لله، عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية " وثبت في الصحيح عنه "أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال ".

ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا﴾، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء.

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾ فقوله هنا: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات.

ولهذا قال من قال من العلماء: ﴿إني متوفيك﴾ أي: قابضك، أي قابض روحك وبدنك يقال: توفيت الحساب واستوفيته ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعا إلا بقرينة منفصلة. وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقوله: ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ وقوله: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هو مذكور في موضعه. والله تعالى أعلم.[1]

وقال السعدي رحمه الله "فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي شبهه على غيره، فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله"[2]

١ مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٢)

٢ تفسير السعدي (ص: ١٣٢)

## المبحث السادس

## عبودية المسيح عليه السلام باعتبار نزوله وموته

عيسى عليه السلام عبد لله عز وجل، ويؤكد ذلك ما ثبت من نزوله عليه السلام قبل يوم القيامة وكذلك موته ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى قوله تعالى عن بيه عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٩، ٦٠]

فهذه الآية فيها إشارة واضحة إلى أن الله عز وجل كما رفع عيسى عليه السلام، سينزله آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

كما ذكر أهل العلم في معنى الآية وهي قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾. وقد نقل الطبري تفسيرها بذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك وابن زيد وقتادة والسدي أن المقصود بها: "نزول عيسى ابن مريم علم للساعة حين ينزل"[١]

قال ابن كثير في بيان معنى الآية: "الصحيح أنه عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ أي: قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ [النساء: ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: "وإنه لعَلَم للساعة" أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿وإنه لعَلَم للساعة﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى بن مريم، عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا.[٢]

ومن الأحاديث في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون

---

١ تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٢)

٢ تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦)

السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: " واقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته۞ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ [النساء: ١٥٩] "[١]

روى أبو هريرة ﷺ، قال، قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[٢] وفي رواية مسلم «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟»

والأحاديث في هذا الباب متواترة كما ذكر أهل العلم.

ومن الآيات التي تدل على النزول ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]

فهذه الآية أثبتت عبودية عيسى لله ﷻ، من ناحية نزوله قبل يوم القيامة كما هو قول شيخ المفسرين الطبري رحمه الله، ورجحه، فبعد أن ذكر أقوال أهل العلم في الآية قال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"[٣] .

ويعني بذلك نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علما من أعلام الساعة.

ورجح ابن كثير قول ابن جرير، بل قال: "ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة"[٤]

وهذا القول هو الأرجح خاصة أن أبا هريرة رضي الله عنه قد استدل بالآية على نزول عيسى عليه السلام كما مر قريبا وهو عند البخاري.

كما أن من الأدلة الصريحة على العبودية لله، وهي العبودية العامة التي تشمل الأحياء جميعا سوى الله ﷻ، هي حلول الموت بجميع المخلوقات الحية ومن هؤلاء عيسى عليه السلام وقد نص الله ﷻ على ذلك في مواطن عديدة منها: قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]

---

١ صحيح البخاري (٤/ ١٦٨)
٢ صحيح البخاري (٤/ ١٦٨) صحيح مسلم (١/ ١٣٧)
٣ تفسير الطبري (٩/ ٣٨٦)
٤ تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/ ٤٠٢)

فالمسيح هنا قد نص على موته، فيما حكاه الله عنه من قوله في المهد، فكما خلق سيموت ويبعث، وهذه صفة ملازمة لكل الأحياء من المخلوقات، وهي دليل للعبودية العامة.

وفي هذا جاء كلام أهل العلم ومن ذلك قول ابن كثير رحمه الله في الآية حيث قال: وقوله: ﴿والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾: إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، [صلوات الله وسلامه عليه][1]

ونحوه قال ابن سعدي رحمه الله في الآية حيث قال: "فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال قال: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثي، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله حقا"[2].

فجميع المواطن التي ذكرناها والتي هي صريحة في عبوديته بدأ من تصريحه وكلامه عن نفسه وما ذكر الله ﷻ عنه من أحواله كالبشرية والرسالة والقبض والرفع والنزول ثم الموت، كل ذلك أدلة وبراهين على أن المسيح عليه السلام كان عبدا مخلوقا مربوبا ليس إلها ولا ابن إله كما افترى ذلك النصارى وادعوه عليه دعوى كاذبة سيتبرأ منها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٦، ١١٧]

---

١ تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٠)

٢ تفسير السعدي (ص: ٤٩٢)



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

## الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وبعد، فقد توصلت بعد بحثي هذا إلى تأكيد حقائق مهمة أعرضها في خاتمة بحثي على النحو التالي:

- قطع المسيح وصرح بعبوديته لله تعالى وشهد على نفسه بذلك: ﴿إني عبد الله﴾
- أثبت القرآن عبودية المسيح لله باعتباره بشرا كغيره من البشر، واصطفائه للرسالة لا يخرجه عن أنه بشر، ولا يجعله إلها ولا ابن إله (ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام).
- أثبت المسيح أنه عبد بتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، حيث حكى الله تعالى على لسانه عليه السلام (قال أني عبد
- يؤكد عبودية المسيح قبضه ورفعه إلى الله تعالى وهذا يثبت أنه عبد وأن المتصرف فيه هو الله سبحانه تعالى الخالق المدبر.
- مما يؤكد عبودية المسيح اعتقاد المسلمين بنزوله قبل يوم القيامة وكذلك موته كما يموت البشر ودلت الآيات على ذلك وتواترت الأحاديث الصحيحة المخبرة بنزول عيسى عليه السلام إماما عادلا وحكما مقسطا.
- نص المسبح على عبوديته وأكد ولادته وموته فيما حكاه الله عنه قال تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وهذه صفة ملازمة لكل الأحياء من المخلوقات، وهي دليل للعبودية العامة. فهو مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق.



KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

## ثبت بأهم المصادر


- تفسير الطبري
- تفسير ابن كثير
- صحيح البخاري
- تفسير السعدي
- الرد على الإخنائي
- تفسير المنار
- التحرير والتنوير
- صحيح مسلم
- تفسير البغوي
- تفسير القرطبي
- مجموع الفتاوى




KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

## فهرس المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| المقدمـــة | ١ |
| تمهيـــــد | ٥ |
| مفهوم العبودية: | ٥ |
| المبحث الأول: إثبات عبودية المسيح باعتبار خلقه بكلمة الله وروح منه | ١١ |
| المبحث الثاني: عبودية المسيح باعتبار التصريح بعبوديته لله تعالى. | ١٤ |
| المبحث الثالث: عبودية المسيح باعتبار البشرية | ١٦ |
| المبحث الرابع: عبودية المسيح باعتبار الرسالة وتحقيق العبودية | ٢٠ |
| المبحث الخامس: عبودية المسيح باعتبار قبضه ورفعه الى السماء | ٢٢ |
| المبحث السادس: عبودية المسيح باعتبار نزوله وموته | ٢٤ |
| الخاتمـة | ٢٧ |
| ثبت بأهم المصادر | ٢٨ |




KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة